

المقامة السابعة تسمى الاخياخية

تتضمّن ألفاظ و نكت خرجت من كرش الشيخ الحبيب بن عيسى
و جوابه عن مكتوب المحبّة

حدثنا امحمد بن العربي قال كنت حضرت جمع الطلبة، وهم في شريعتهم غربا، وكانت عشية ليلة الحوز، وكانوا مدخرين لها مخلطا من بلوط و لوز، و قشرة و قوقاو و جوز، و هم معتكفون على كبش يشوى، و ملفوف يلوى، و قد بلغنا ان ابن عيسى العوالي، ادركه خبر نشطه على التوالي، فتناهيانا الراي و ارسلنا له فارسا مستعجلا، لياتي به في الحين مغغلا، فلم يك الا كمن سقى ماء و توضى، و جفت اعضاؤه و صلّى مفرضى، اذ بابن عيسى اقبل علينا يهندز⁵⁰، و صاحبنا من ورائه يحنطر، فعجلنا لانزاله، و افرغنا الموضع لاجلاسه، فلما ربّع بنقاله في متفولته، و نفّر بخنفورته، طفقت الطلبة بدفع المأكول إليه، و الحلقة دايرة عليه و هو يتكاهن بلسانه، و يظهر الحلاوة لكلامه، ولما هنشر النوعين، و كدّد اعظام الجنبيين⁵¹، مسح يده على كشرودته⁵²، و برم بشلغومته، و قال يا معشر الأدبا، و يا نجول النقبا، اعلموا ان حبيبا منورا، بعث لي مكتوبا مطمبرا، فكان هو السبب لانفلاطي، و تحريكا للعلوم المنخرطة في مسراطي، فلما هاجت سطوة علمي، و طابت ثمرة كرومي، اتقنت له جوابا يشفي الصدور، و يبيري الاكمة و الابرص و ينفي الشرور، اهل لكم جفان و خوابي، لتدخروا فيهم فوائد جوابي، فقلنا له نعم، ولأجل ذلك نلت ما كنت تلتقم، فعند ذلك اشار بقلبوزته الى احد الطلبة كان يعرفه خطّاطا، و له خفة في الكتابة شطّاطا، وقال له اقرب يا كُبَيْش عوالي، اودع الله فيك سرّا غالي، وخذ الادوات و اكتب الجواب، والله الموفق للصواب، قال الراوي فلم يك الا قدار ما قام القندوز و انتشى، على

⁵⁰ يهندز: التهديد هي مشية متوسطة اقل من الجري الخفيف و اكثر من السيرة المهدنة يهندز او يهرول.

⁵¹ اعظام الجنبيين هما الضلوع الموجودة في كرش الشاة.

⁵² كشرودته بمعنى لحيته و انها مثل الدومة و القديمة المحروقة و يبقى اثرهم فيقال فيهم مكشردين فليحته مكشردة كذاه.

ركبتيه حذو الشيخ وانسنى، فقال له ابن عيسى اشرع يا ولدي في تسقيم الورقية، و اكتب الحمد لله و التصلية، و قل مكتوب المحبة و انوارها، في افتتاح السنة و ازدهارها، فانه يبارك لنا لياليها و ايامها، و ان يجعل لنا تيسيرا و فتحا من مغانمها و اكرامها، و يحيطنا بالحاف ستره الجميل في جميع سواعيها و اوقاتها، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم مالك الجنان و مفاتها، المنتزه في اسافحها و اسافلها و اعلاها، اذا طاب الماء فهو من طيب رمله، و زكى الفروع ذلك من عمدة أصله، بأبه اقتدى إدريس⁵³ في الكرم، و قد شباه أباه فما اظلم، آخاي آخاي⁵⁴ يا عزيزي يا سيدي إدريس، تالله لقد ارتقيت لمنهاج الاداريس، فالمحبة لمحبتك خايضة تحت القدم، و اوجب لك المدح في العرب و العجم، فلمثل محبتك فليعمل العاملون، ولخاظة امثالك فليغرب الراغبون، كتبت لي يا أخ على ورقة الطامبر، المارة بين يدي الحكام العلماء الجهار، أيها النبيه، الحبر النزيه، الامثل الافضل، الاحفل الاكمل، الانبل الاجمل، انك من بيت علم و صيانة، و نزاهة و أمانة، و بركة و خير، و قرى و مير، و منصب كريم، و حسب صميم، لا سيما العقل والأدب، فتنسل اليه من كل حدب، حتى انه كان لهجتك، و ربيع حواشيك و مهجتك، و قد خيلت اليّ انك القرنيّ أويس، أو الأمير دبيس، نعم المحب ان مكتوبك الابسط لما اورده الحمّال اليّ، و اتصل استصماره لديّ، اعراني وافحاني ثم بعد افتتاحه وانتظاره اعجبني و اطربني، و ازهاني و اسرني، فاتممت قرأته و القلب متمالا بالسرور، و قد زال عنه الكظم و الكدر و احتمالات الامور، فاضربت عنه الكفّ بالكفّ، و اوددت استبشاره بالشفّ، و احفظته داخلا مخبائي، و رايدا به انتفاعي، فعجبت به الى قوم يزعمون المحبة، و داعيين بينهم المودّة، فاحضرت المكتوب و اطلعتهم إيّاه، و قلت لهم أوصل أحدكم لمثل هذا أو راه، فصمتوا كلّهم بالانتهاج، و قالوا ان هذا الشي عجاب، فسألوني بالرغبة عن

⁵³ إدريس هو لقب المؤلف.

⁵⁴ آخايّ آخايّ كلمة مكررة تعجّبا تقال عند رؤية الشي الحسن كقول العرب عند رأيهم لما يحسن بخ بخ و هذا الشيخ المذكور له عمامة كبيرة و لحية كثيفة و دربالته ثقيلة و كرشه محتوية على علوم لها رنة كترنزين النحل او كتهريير السيل و انه لما يراى حاجة او يسمع كلمة تبسّطه يزهزم راسه بعمامته و يميل وجهه و يقول اخايّ اخايّ.

صنيع هذا، بديع الوبادة الوفاذا، فقلت لهم و هل يخفى عنكم أدبا المعسكريين، الذين هم بلغوا في المزية اشرف عليين، فعلموا انها صنيغة بديعة فاقت، لم يأت بها أحد غيرك في السلف الفايث، و شهدوا لك انك من الطلاب الاقدمين المستفخر كطاواصلين، الحاصل لَمَّا نتلاقوا نجعلوا شرحا على هذا المكتوب الغريب، الذي لم يخترعه بعيد ولا قريب، و اَمَّا السلام و ابرازه وتوابعه، فإني بعثت لك منه صحبة الحمارين خمسة و سبعين مائة ألف شواري خذ منهم ما يكفيك و الباقي قسّمه على الطلاب جميعا و مكّن الى السي الاخضر القلمي شواري غير وحده و إذا خصّه زده ما يقنع ويسكت و السلام، فلَمَّا فرغ من كلامه هَجَّال الهجاجيل⁵⁵، الشيخ ابن عيسى مطوِّع الشقاليل⁵⁶، قال له جمعة الطلابا سايلين، ما معنى لفضك المستفخر كطا واصلين، لسنا من خيل هذا الميدان، ولا لنا بحلّ هذه العقد يدان، فافض علينا لبابك، و اشرح لنا هذه النكتة التي خرّجتها من عبابك، فقد عرفنا دوحنك واستطلعنا شعبتك، فتبسّم كما يتبسّم الهريت، و تخازر كما يتخازر العفريت، وتكلم مجاوبا في سرعة من الكبريت، و قال ان هذا الطالب الذي فعل هذه الصنيغة لما احسنني و اردت مدحه بلا تطويل الكلام فطولت مدحه معنى واختصرت لفظا فقلت هذا الطالب من المستفخر كطا واصلين فقولي فالمستفخر أي من المستفخرين والكاف أي من الاكرمين والطا أي من الطيبين والواو من الواصلين فهذا معنى قولي فصار يفيش عليهم، و يتخازر فيهم، فكرشه في الترعاد، و فمه في الترداد، و يقول لهم ألا يحسنكم هذا العلم الذي يخرج من كرشي، أتطبيقون ان تستوعبوا حكمي وافشي، فقالوا له دعنا من بحرك الذي لا

⁵⁵ هَجَّال الهجاجيل: الهَجَّال هو الذي طَلَّق زوجته او ماتت امرأته و بقى وحده هَجَّالاً فلَمَّا تطول مدته و لم يتزوَّج فيضرب به المثل يقال فيه هَجَّال الهجاجيل.

⁵⁶ مطوِّع الشقاليل : الشقاليل اسم دوار و منهم دوار الرواونة و يحكى ان الطلابا ذهبوا لدوار الشقاليل قاصدين رجلا اسمه محمد الاشهب ليطلبوا منه شاة و كان كثير الغنم و طلبوه، بخلهم و ارجعهم خاييين و لَمَّا وصلوا الى شريعتهم اتى لهم ابن عيسى و اخبروه بما وقع لهم فحينئذ قام ابن عيسى و عرّى راسه و تنفّ لحيته و دعى على محمد الاشهب ليصيبه اليه في غنمه، ففي الغد من ذلك اليوم اتفق لراعي غنم محمد الاشهب انه اتى سابق الغنم قرب طريق الحديد و لَمَّا اراد ان يقطعها اتى بابور النار بعجلة فالتقى مع الغنم و صار يقتل فيها حتى قتل منها ستة عشر شاة و زد ان الحكّام خطوا الاشهب المذكور بستين دورو عقوبة فبعد ذلك شاع بوهران ابن عيسى و طاعوا له الشقاليل و غيرهم اجارنا الله من مكر هذا الشيخ العفريت و لهذا ضرب به المثل.

يغضغه ولا يخوضه المخوض و لو بعمود، و لا يبلغ مدحه المدّاح و لو يملئ أذن فار
و سبعة جرود، وانصرف يهرول، و غدرهم صفة المولول⁵⁷.

⁵⁷ المولول هو الذي يكون في عقله خفيفا كالبهلول.